التكثيف الدّلالي في مجمع الأمثال للميدانيّ

أ.د. هاشم جعفر الموسويّ الباحث. حسين كريم جياد
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Al condensi meaning in Complex proverbs LLMadany

Dr. Hashem Jaafer Al Mosawy Researcher. Hussein karim Jiad
University of Babylon / College of Education and Human Sciences
Hassan.1985.1410@mail.com

Abstract:

Those who seek the linguistic truth of words in their voices, structure and structures find that the effect is the meaning, and this fact is not absent from the thought of our scientists ancient and modern, the words are finite limited and the meanings are not limited or finite, does not surround the limited unlimited, and I liked to prove here in the light of what I have seen from the proverbs that most of the most concentrated in the aspect of significance, and therefore is short in the amount of verbal long semantic type, and we will mention here examples of the application of means that contribute to the intensification of significance in the complex of proverbs for the field:

Keywords: condensi- meaning- Dilating- pronouncing.

الملخص:

من يفاتش الحقيقة اللغوية للألفاظ في أصواتها وبنيتها وتراكيبها يجد أنَّ الأثر الناتج عنها هو المعنى، وهذه الحقيقة لم تغب عن فكر علمائنا قدماء ومحدثين، فالألفاظ محدودة متناهية والمعاني ليست محدودة أو متناهية، فلا يحيط المحدود بغير المحدود، وقد أحببت أن أثبت هنا في ضوء ما طالعت من الأمثال أنَّ الأغلب الأعمّ تركّز في جانب الدّلالة، ولذلك هي قصيرة بكمّها اللفظيّ طويلة بنوعها الدّلاليّ، وسنذكر بما يتسع به المقام نماذج مختارة تطبيقية من الوسائل الاقتصاديّة التي تسهم في تكثيف الدّلالة في مجمع الأمثال للميدانيّ.

الكلمات المفتاحية: التَّكثيف، الدّلالة، التّوسع، اللّفظ.

أولاً: التكثيف الدّلالي بالتشبيه:

من الوسائل التي يلجأ إليها المتكلم في تبيين المعنى التشبيه الذي يُخرِج الخفيّ إلى الجليّ, وَيُدني فيه البعيد من القريب، فهو عقد مشابهة بين أمرين, أو أكثر، لاشتراكهما في صفة, أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه(١). والتشبيه يساهم في سهولة عملية الاتصال بين المتكلم والسامع بوسائط معروفة بين المشبه والمشبه به, فهو يقرّب المعنى بقليل من الألفاظ(٢), أو تقوية شأنه في نفس السامع بحيث يجعله جميلاً مقبولاً, وليس كل تشبيه يحوز منحى الاقتصاد، إذ إنَّ بعضها يُبعِّد المعنى على المتلقين كقول العجاج(٣):

وَمُقْلَةً وَحَاجِباً مُزَجّجاً وَفَاحِماً وَمَرْسِناً مُسَرَّجاً

فقد أُختُلِفَ في لفظة (مُسَرَّجا), فمنهم من رأى أَنَّها من السيوف, ومنهم من رأى أَنَّها من السِّراج(٤).

وقد ورد التشبيه في أمثال العرب(٥), ومن أمثلة ما ورد من ذلك قولهم: ((كَأَنَّ عَلَى رؤوسهم الطَّيْرُ))(٦)، هذا المثل أقرب إلى الواقع العملي منه إلى النظري، فالجانب الحسي فيه سمة بارزة عليه، فالطير يكاد يكون منظوراً لجميع البشر من دون استثناء، ووجود الطير على رأس الإنسان يستلزم حالة من الثبات، ولنعكس الأمر ونقول: (كأنَّ على رؤوسهم الماء) يقدح في ذهننا دلالة عدم

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي: ٢١٤.
(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٤٨ – ٤٥٠.
(٣) ديوانه، من الرجز: ٣٤/٢.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٥/١, وكتاب الصناعتين: ٢٥٧ – ٢٥٩.
(٥) ينظر: على سبيل التمثيل، مجمع الأمثال: ١٤٩/٢, ١٥٤/٢, ١٦٤/٢, ١٦٦/٢, ١٨١/٢, ١٩٥/٢, ٢/ ١٩٧, ٢٠٠/٢, ٢/ ٢٣٧, ٢٤٢/٢, ٢٦٦/٢, ٢/ ٢٦٨, ٢٧٧/٢, ٤٠٥/٢, ٤٢٢/٢
(٦) مجمع الأمثال: ١٤٦/٢, والمثل يضرب للساكن الوادع، يريد أَنَّهم يسكنون ولا يتكلمون، والطير لا تسقط إلا على ساكن.

الثبات...إلخ، والثبات قد يكون في موضع الحق، وأحياناً في موضع الباطل ضد الحق من باب العزَّة بالإثم وعدم القدرة على تمييز الحق، فالتشبيه في المثل المذكور آنفاً وَضَّحَ المعنى وبيَّنه بأَنَّ هؤلاء المشبه بهم في سكونهم والتزامهم وعدم حركتهم هم كالذين على رؤوسهم الطَّيْرُ في السكون وعدم الحركة, فَوُضِّح المعنى بقليل من الألفاظ عن طريق التشبيه من دون إسراف أو تبذير ما وفَّرَ الجهد والوقت من دون أن يستغرق ذلك مدة أطول.

ومن ذلك أيضاً، قولهم: ((مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ))[١]، ففي المثل ذكرَ القائل الجزء، وربَّما أراد الكل ولذلك قال: البارحة من باب الإيجاز في الألفاظ والغزارة بالمعنى، فيكون المعنى ما أشبه الليلة بالأيام التي مضت، ووجه الشبه قد يكون بالشيء الحسن، فالإنسان قد يكون يومه جيداً ليس فيه ما يُبغِضُ ربَّ العالمين وإنَّما فيه مرضاته ولذلك أشبه البارحة، وقد يكون المعنى أنَّ الليلة أشبهت البارحة فقط بعدم وجود الذنوب، ولكنَّها لم تشبه بقية الأيام التي مضت وانتهت، والمعنى العام للمثل ما أشبه بعض القوم ببعض في الشَّر والخديعة, وإنَّما خُصَّ بالبارحة لقربها منها، فهو كأنَّما قال: ما أشبه حال القوم اللَّيْلَةَ بحالتهم في ليلة البارحة باللَّيْلَةِ, ويمكن أن يشعرنا المثل بدعوةٍ خفيَّةٍ إلى الاستقامة، والحذر من الوقوع في الخطأ ومحاسبة النفس بعد انتهاء ساعات النهار، فتبيَّن معنى التشابه بقليل من الألفاظ، ودلَّ على المعاني الكثيرة, ويروى أَنَّ الانسان إذا كان صباحه كأمسه من الذنوب وعدم محاسبة النفس وعدم الارتقاء بها فهو مغبون, قال الإمام علي (عليه السلام): ((من اسْتَوى يوماه فَهُوَ مغبون، وَمن كَانَ يَوْمه شراً من أمسه فَهُوَ مَلْعُون...))[٢]، قال: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا))[٣].

ولذلك فقلة الألفاظ مع تحقيق ما يرمي إليه المتكلم من المعاني لإيصالها إلى المتلقي بأقل ألفاظٍ ووقت منحًى اقتصادي، فالمعنى أُخرِج ممّا هو خفيّ إلى ما هو جليّ, ولذلك حصل بالتشبيه تأثير في النفس, وتمكين للمعنى في القلب[٤].

ومّما جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((مِثْلُ الْمَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْمَاءِ))[٥]، الملاحظ في المثل المذكور آنفاً أنَّ المتكلم استعمل التشبيه لتقريب الفكرة التي ربَّما تكون بعيدةً عن السامع والمتلقي بقليلٍ من الألفاظ، وهي فكرة القبول بالقليل، ولكن على سامع المثل ومتلقيه أن يقف وقفتين يحاكم فيهما النص المذكور آنفاً:

الأولى: من الواضح جدّاً أنَّ الماء هو أفضل شراب على وجه الأرض للأحياء والجماد، قولة تعالى((اولم يرالذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناها وجعلنا من الماء كل شى حى افلا يؤمنون))(سورة الأنبياء: من الآية ٣٠).

ولذلك عندما استعمل المتكلم أسلوب التشبيه كان مقروناً باسم التفضيل (خير) وهذه دلالة ترمي إلى تقريب الصورة إلى أبعد ما يمكن.

والوقفة الثانية: أنَّ الدَّلالة المستوحاة من المثل هي إخبارية استعلامية، لكنها تركت ما هو خير من الماء غامضاً لمن لم يدرك المعنى بسهولة، فقد يكون ما هو خير من الماء اللبن بأنواعه، أو العصير، أو العسل، ...الخ، ولذلك ما يفكُّ تلك الإشكالات هو المعنى الجامع أو قل الدلالة المركزية وهي (القناعة).

ومّما جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((يَاعَمَّاهُ هَلْ يَتَمَطَّطُ لَبَنُكُمْ كَمَا يَتَمَطَّطُ لَبَنُنَا))[١]، ولا شكَّ في أنَّ قائل المثل استعمل أسلوباً طلبياً فابتدأ المثل بالنداء (ياعمّاه) ثمَّ السؤال بـ (هل) للفت انتباه المخاطَب وتخصيصه، فتلك الأساليب تسهم في ثبوت دلالة المثل

---

(١) المصدر نفسه: ٢٧٥/٢, والمثل يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة، أي إنَّ الشيئين متشابهان، يعني أَنَّهم في اللؤم من نصاب واحد، والباء في(البارحة) من صلة المعنى، كأَنَّه في التقدير شيء يشبه الليلة بالبارحة، يقال: شبهته بكذا وكذا، وهو من الشعر الذي جرى مجرى الأمثال، وصدر البيت استشهد به طرفة بن العبد:
: كُلُّهُمُ أَرْوَعُ من ثَعْلَبِ.
ديوانه، مخلع البسيط: ١ / ١٧.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١ / ١٧٧.

(٣) منهاج البراعة: ٥ / ٣٣٧، وهو مرفوع عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وفي الكافي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها)).

(٤) ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٤٠ – ٢٤٢, والإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢/٣, ٢٣.

(٥) مجمع الأمثال: ٢ / ٢٨٧، والمثل يضرب للقنوع بالقليل.

وفكرته في ذهن المخاطَب، ومن يسمع المثل يشعر أنَّ هناك إيحاءً بمعنى زيادة المال أو الثروة، وما إلى ذلك، فالمتكلم أخفى المعنى ولم يصرِّح به لو قال: يا عماه هل يتمطط لبنكم ؟ ولكنَّه قرَّب الصورة البعيدة إلى الأذهان عندما أكمل قوله: (كما يتمطط لبننا)، ولكنه قال:(يتمطط)، ولم يقل: (تمطَّطَ)، إمّا لأنَّه يريد أن يترك ذلك إلى ذكاء المتكلم وأنَّه أراد استمرار زيادة المال لا أنَّ الزيادة حصلت وانتهت، وإمّا أنَّه من باب المشاكلة، ومن ثَمَّ يتضح أنَّ كل ما تقدَّم هي دلالات ضمنية ساهم التشبيه بشكل مؤثر فيها، ما انعكست إيجاباً على تكثيف الدلالة بقليل من الألفاظ.

ثانياً: التَّكثيف الدَّلالي بالاستفهام المجازي:

من المفهوم أَنَّ الغرض الرئيس للاستفهام, هو طلب معرفة أمر لم يكن معروفاً عند الطلب لدى السائل[٢], وذلك نحو: هل سافرت إلى القاهرة ؟ فالجواب: يكون بنعم أو لا، ولكن الاستفهام قد يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أُخَر من الممكن معرفتها عن طريق سياق الكلام[٣] وذلك نحو غرض التمني وذلك حين يكون ما بعدها بعيد المنال أو مستحيلاً نحو قوله تعالى:((قد خسروا انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون))(سورة الأعراف: من الآية ٥٣), ونحو غرض الاستبعاد حين يستبعد المتكلم ما بعد الأداة وذلك نحو **قوله** تعالى:((ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)) (سورة يس: آية ٤٨).

ووجه الاقتصاد في الاستفهام المجازي أَنَّ المتكلم يستطيع تحقيق غرضه بأقل ما يمكن باستعمال أسلوب الاستفهام المجازي وقد ورد الاستفهام المجازي في أمثال العرب[٤], وممّا جاء من ذلك قولهم: ((حَيْثُ وَمَنْ يَمْلِكُ أَقْدَارَ الْحَيْنِ ؟))[٥]، قريب معنى المثل المذكور آنفاً من قوله تعالى:((ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجله لايستعجلون ساعة ولا يستقدمون)) (سورة النحل:آية ٦١). فالأمر بيد الله جلَّ جلاله، ولا أحد يملك أقدار الحين[٦] غيره، فالاستفهام باسم الاستفهام(مَنْ) خرج عن غرضه الأصلي (الاستفهام) إلى غرضٍ آخر هو غرض (النفي), ومعنى المثل:(لا أحد يَمْلكُ أقدارَ الحينِ). وهذا الخروج عن المعنى الأصلي بأقل ما يمكن من الألفاظ من غير تغيير أو زيادة لتحقيق غرضٍ آخر هو منحى اقتصادي يوفّر الجهد والوقت.

وممّا جاء من ذلك أيضاً، قولهم: ((كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذا أَثَرُ فَأْسِكَ))[٧]، تتجلى في المثل وظيفة أخلاقية تتجسد في التزام القيم والأخلاق الحميدة التي أمر بها الإسلام وبعض التقاليد العربية في حسن التعامل مع الإنسان فضلاً عن الحيوانات والرفق بها، ففي المثل نهيٌ ضمنيٌ في الامتناع عن أذية الآخرين، وقد خرج الاستفهام المتحقق باسم الاستفهام (كيف) عن غرضه الأصلي إلى غرضٍ آخر هو (النفي) أي:(لا أعاوِدك، لأنَّ أثر فأسك لا زال باقياً)، فتحقق الاقتصاد بأقل الألفاظ ما وَفَّرَ الجهد والوقت.

وممّا خرج فيه الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض التقرير قولهم: ((كَيْفَ بِغُلَامٍ أَعْيَانِي أَبُوهُ))[٨]، في المثل وصفٌ لحوار بين إنسان وقع عليه الحيف وآخر ربَّما جاء ليعي ما وراء ذلك الظلم، وقد تجسد ذلك الوصف باللغة التي مثلتها في المثل (الألفاظ المعبرة عن دلالة ما يغرسه الأب في ابنه فيثمر ليلقي بظلاله على الآخرين والعكس كذلك قد يحصل وفقاً للأعراف الاجتماعية، وبذا نلمس أنَّ اللغة أخذت بعدين:

البعد الأول (داخليٌّ): تمثَّل في ائتلاف الألفاظ بعلاقات خاصة بعضها ببعضها الآخر لتوفير الجهد.

---

(١) مجمع الأمثال: ٢ / ٤٢٢، والمثل يضرب لمن صَلَحَ حَالُه بعد الفساد.
(٢) ينظر: شرح القصائد العشر, يحيى التبريزي: ٤٩/١, وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٧١.
(٣) ينظر: ديوان المعاني, أبو هلال العسكري: ٣١/١, وشرح ديوان الحماسة, المرزوقي: ١٥٣/١.
(٤) ينظر: على سبيل التمثيل، مجمع الأمثال: ٣٤/١, ٢٠٢/١, ٢٠٣/١, ٢٨٩/١, ١٢٣/٢, ١٣٩/٢, ١٥٥/٢, ٢٨٢/٢, ٣١١/٢, ٣٧١/٢, ٣٨٣/٢, ٤٠٤/٢, ٤١٩/٢.
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٣/١، والمثل يضرب عند دُنُوِّ الهلاك، أي: هذا حين، ومَنْ يملك ما قُدِّرَ منه.
(٦) الحين: الهلاك، ينظر: لسان العرب، مادة (حين): ١٣ / ١٣٦.
(٧) مجمع الأمثال: ١٤٥/٢, والمثل يضرب لمن لا يفي بالعهد، وهو من الأمثال التي حكته العرب على لسان الحيوانات (الحية).
(٨) المصدر نفسه: ١٣٩/٢، والمثل يضرب في اتباع الأبن نهج والده في الاستقامة أو عدمها، أي إنَّك لم تستقم لي فكيف يستقيم لي ابنك وهو دونك، وأعياه: أي ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه، ينظر: أساس البلاغة، كتاب العين (ع ي ي):١ / ٦٩١، قال الشاعر، من الكامل:
تَرْجُو الْوَلِيْدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلَدا.

البعد الثاني (خارجيٌّ): تمثَّل في دلالات الألفاظ التي تكتسبها ضمن التركيب.، فاسم الاستفهام (كيف) ليس المراد به السؤال وإنَّما خَرج إلى غرضٍ آخر (التقرير)، وبذلك تحقق منحى الاقتصاد عن طريق تقليل الألفاظ مع تكثير المعاني ما وفّر الجهد.

ومّما جاء من ذلك أَيضاً قولهم: ((هَلْ عَادَ مِنْ كَرَمٍ بَعْدِي ؟))[١]، فإذا أنعمنا النظر في المثل نجد أنَّ الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى غرضٍ آخر يرمي إلى توصيل معنى (الإنكار) وفكرته، وأنَّ قائلَ المثلِ كانَ معتدّاً بنفسه بحيث إنَّه أنكر أن يكون هناك كرمٌ بعده، فبذلك الأسلوب يدخل المتكلم إلى المدلولات الأخرى المختزنة في ذهن المتلقي.

ثالثاً: التَّكثيف الدَّلالي بالكناية:

هذا المبحث له علاقة بالمبحث المتقدم من حيث إنَّ اللفظة في أسلوب الكناية تستعمل في الدلالة على معنىً من المعاني غير الظاهرة[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ((واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر الصابرين))(سورة البقرة: من الآية ٢٢٣), ففي الآية المباركة كناية وتشبيه عن الغشيان[٣].

وقد يسأل سائل لِمَ يلجأ المتكلم إلى الكناية ؟ فأقول: إنَّ الإجابة عن هذا السؤال متنوعة من زوايا متعددة بما يفي بغرض المكنِّي ويمكن حصرها في ثلاثة أمور:

الأول – قد يكون من باب الأدب والترفع, نحو قولنا: عن اللص بالقول: يده طويلة.

الثاني – التعبير عن ما استقرّ في الذهن الجمعي أنَّه غير مرغوب في اللفظ بما لا تنبو عنه الطباع, من ذلك كنايتهم عن الجماع بالعُسَيْلَة، قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لامرأة رفاعة القُرَظيّ: ((حتى تذوقي عُسَيْلَتَه ويذوقَ عُسَيْلَتَك))[٤] فقد شَبَّه لذّة الجماع بطعم العسل, فاستعار لها طعماً, وكنّى القرآن عن الجماع باللمس والملامسة، والرفث، والدخول، والنكاح، والمباشرة... الخ قال تعالى:((ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون))(سورة البقرة: من الآية ١٨٧), فكنّى بالمباشرة لما فيه من التقاء البشرتين[٥], ومثله الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب[٦].

الثالث – للاقتصاد في الألفاظ, والفصاحة في المعنى, مع ادخارٍ الجهد وهذا منحى اقتصادي، ومن ذلك قول الخنساء[٧]:

طَوِيْلُ الْنِّجَادِ رَفِيْعُ الْعَمَادِ كَثِيْرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فـ**(كثير الرماد)** كناية عن الكرم، فكثرة الرماد تستلزم كثرة الجمر, وكثرة الجمر تنقلك إلى كثرة إحراق الحطب, وكثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطبيخ, وكثرة الطبيخ إلى كثرة الأكَلَةِ, وكثرة الأكلة إلى كثرة الضيوف[٨], فالكناية في البيت أبلغ من الإفصاح[٩].

فأسلوب الكناية أغنى التعبير العربي من دون الاقتراض من اللغات الأخرى, وَوَفَّرَ الجمال.

وقد وردت الكناية في أمثال العرب[١٠], فممّا جاء من ذلك قولهم: ((جَاءَ يَجُرُّ بَقَرَهُ))[١١] من المفهوم أنَّ الحيوانات لديها مستوى إدراكي محدود ومنها (البقر) ولذلك فقائل المثل المذكور آنفاً وظَّفها في الاستعمال الحياتي ومن كان مستواه الإدراكي محدوداً يكون منقاداً بطبيعة الحال لمن هو أعلى إدراكاً منه، وهكذا حال الابن مع أبيه وقد ورد المثل مضرباً له فضلاً عمّا تفرضه التعاليم الشرعية والعرفيّة من طاعة للوالدين، قولة تعالى:((قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا))(سورة الكهف: آية ٦٩)، وقولة تعالى:((فلما بلغ

(١) مجمع الأمثال: ٢ / ٣٩٤، والمثل يضرب للرجل يَعِدُ من نفسه مالم يُعْهَدْ منه، فيقال له: هل غَيَّرَكَ بعدي مُغَير ؟ أي أنت على ما عهدتك.
(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٩٥.
(٣) ينظر: مجاز القرآن, أبو عبيدة: ٧٣/٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر, ابن الأثير: ٢٣٧/٣.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٠٣/٢.
(٦) ينظر: كتاب الكناية والتعريض, الثعالبي: ٤٢ – ٦٠.
(٧) شعر الخنساء، من المتقارب: ١٤.
(٨) ينظر: مفتاح العلوم: ٥١٥, والإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٦/٢.
(٩) ينظر: دلائل الأعجاز: ٥٤.
(١٠) ينظر: على سبيل التمثيل، مجمع الأمثال: ٩٥/١, ١٠٤/١, ١٠٨/١, ١١٥/١, ١٥٦/١, ١٥٩/١, ١٧٠/١, ١٧٩/١, ١٩٦/١, ١٩٠/١, ٣٣٧/١, ٧١/١٧،٢/٢, ٧٣/٢, ٢٦٨/٢.
(١١) المصدر نفسه: ١٦٤/١. والمثل يضرب في طاعة الأب.

عه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)) (سورة الصافات: آية ١٠٢). وقد كَنَّى المتكلم عن عياله بـ(البقر)، لأنَّ النساء محلُّ الحرْث والزرع, والبقر آلة لهما[١], ومن دون أدنى شكٍّ أَنَّ الكناية وَفَّرَتْ الاقتصاد باللفظ، وكثَّفت المعنى.

ومّما جاء من ذلك أَيضاً قولهم: ((السَّلِيْمُ لا يَنَامُ وَلا يُنِيْمُ))[٢]، من الواضح أنَّ هناك غريزة معرفية لدى الناس في معرفة ما يجهلونه ولذلك نرى ما يثيره الناس في كلامهم التخاطبيّ ونسمعه، ومنها الأسئلة المفترضة بالمثل المذكور آنفاً، ما المقصود بالسليم ؟ ولِمَ لا ينام ؟ ولِمَ لا ينيم ؟ وما يعني كلامك ؟ وتجنباً لتلك الإطالة يعمد طرفا الخطاب، ولاسيما قائله، إلى تحديد المقاصد من الألفاظ من باب قلَّة بذل الجهد باستعمال أساليب تعينه في مطلبه، فـ(السَّلِيم) كناية عن الملدوغ أو المريض, وجاء المثل كناية عن عدم الرّاحة، فالسليم لا ينام ولا يدع غيره ينام، لكثرة ألمه وتوجعه وصياحه، فذوي السليم أو من له صلة به يتحملون وزراً من آهاته, ولذلك يقولون للملدوغ سليماً تفاؤلاً بالسلامة، وقد وَفَّرَ هذا الاستعمال التقليل بالألفاظ مع فصاحة المعنى وهو منحى اقتصادي.

وممّا جاء من ذلك قولهم: ((لَقَيْتُه ذَاتَ الْعُوَيْمِ))[٣] لو عرضت المثل على الذوق البلاغيّ السليم فلن تجد غير دلالته على الكثرة، وقد جاءت الكناية بلفظ (ذات العويم), وهي تدلُّ على اللقاء المتكرر بشهادة لفظة (لقيته)، وقد يكون هذا اللقاء محل صدفة أو لقاء جرى التنسيق له ليكون محل فائدة أو تشاور أو اشتياق وما إلى ذلك, والكناية جاءت عن المدة أو المرة، فـ(العُوَيم) مصغَّر (عام) وُظِّفَ في المثل ليدلَّ على اللقاء الكثير.

ولعلَّ الكناية المقبولة . إذا جاز التعبير . هي التي تحقق المعنى الوظيفي المراد باستعمال مفردات تداولية تتكفل بتعيين الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي عن طريق القرائن اللفظية والسياقية بما يحقق التواصل من دون لبسٍ.

ومّما جاء من ذلك أَيضاً قولهم: ((أَفْنَيْتِهِنَّ فَاقَةً فَاقَةً، إذا أَنْتِ بَيْضَاءُ رَقْرَاقَةٌ))[٤]، الفناء هو الهلاك والموت والزوال[٥]، وقد استعمل في المثل المذكور آنفاً مجازيّاً، لأنَّ بذل الأموال ليس فناءً وإنَّما هو إنفاق، وربَّما استعمل هذه اللفظة في هذا الموضع، ليدلَّ على عظمة ما أنفقه، وأنَّه لم يعد يملك شيئاً لأجل تلك المرأة، فالكناية ترجع إلى الأموال وإنفاقها، ولا شكَّ في أنَّ المتكلم استعمل اللفظ (أَفْنيتهنَّ) ليتجاوز الدلالة الظاهرة لتكون الإشارة إلى المعنى بالطريقة غير المباشرة، وهو أنَّه أعطى ما يملك لتلك المرأة الناعمة البيضاء بحيث لم يبقَ لديه ما يرتكز عليه في الحياة، ويمكن أن نلمح إيحاءً آخرَ من المثل، وهو أنَّه أنفق عليها مادامت هي بيضاء شابَّة فإذا تغيرت معالمها فإنَّه قد يتغير ما هو كائن في قرارة نفسه من حبٍّ لها فقد يتحول الحبُّ إلى بغضٍ، وربَّما لم يصرِّح المتكلم باسمها من باب أنَّ الذكر قد يؤدي إلى العبث، فكل ما تقدَّمَ ذكره من معانٍ جاء متحققاً عن طريق المنحى الاقتصاديّ للكناية في خدمة المعنى

رابعاً: التَّكثيف الدَّلالي بالمقابلة:

من المحسنات المعنوية في الكلام العربي المقابلة, وتعني: المعارضة, أو المواجهة[٦], وهي الإتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر من معنى على جهة الموافقة والمخالفة[٧].

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٦٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٣٩/١، والمثل يضرب لمن لا يستريح ولا يُريح غَيْرَه.
(٣) مجمع الأمثال: ١٨٢/٢, والمثل يضرب في كثرة لقاء الإنسان مع إنسانٍ آخر، أي إذا لقيته ذات المرار في الأعوام، ونصب (ذات) على الظرف.
(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٧٣، والمثل يضرب للذي يُهْلِكُ مالَه شيئاً بعدَ شيءٍ، وفاقة: الحاجة والفقر، ينظر: لسان العرب، مادة (فوق): ١٠ / ٣١٩، والرقراقة: المرأة الناعمة، ينظر: لسان العرب، مادة (رقق): ١٠ / ١٢١.
(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (فني): ١٥ / ١٦٤.
(٦) ينظر: لسان العرب, مادة (قبل): ٥٣٦/١١.
(٧) ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٣٧/١, وخزانة الأدب الحموي: ١٢٩/١, ومصاعد النظر, البقاعي: ٣٥٨/٢.

وممّا جاء منها في القرآن الكريم قوله تعالى((فليضحوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون)) (سورة التوبة: من الآية ٨٢)، فالمقابلة حصلت بين الضّحك والبكاء[١], وللمقابلة أنواعٌ كثيرة, لكن ما يهمنا منها هو مقابلة الضد بالضد، لأَنَّ فيها ثراءً في المعنى مع قلة الألفاظ وهذا هو الوجه الاقتصادي فيها. ومن ورود المقابلة في الشعر قول النابغة الجعدي[٢]:

فَتًى تَمَّ فِيْهِ مَا يَسِرُّ صَدِيْقُهُ عَلَى أَنَّ فِيْهِ مَا يَسُوْءُ الْأَعَادِيا

فقابل صديقه بالأعادي.

وقد وردت المقابلة في أمثال العرب[٣]، فمن ذلك قولهم: ((خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ))[٤]، والتعبير في المثل بـ(خير المال) فيه مفاضلة، إذ قد يكون المراد بالمال هو المكتسب من طريق الحلال والمنفق على الأسرة فهو مالٌ مباركٌ فيه رضا من الله سبحانه، على العكس من المال الذي يُكْسَبُ بطرقٍ غير شرعيّة، كالربا والسرقة والسحت الحرام وما إلى ذلك، وقد تجلّى معنىً آخر من طريق المقابلة بين لفظتي (عينٌ ساهرةٌ، وعينٌ نائمةٌ) ففيه مضمون كبير، فالمتكلم قد جعل من العين إنساناً ملكه ولا يمكن الإقرار عقلاً أنَّ إنساناً ملكُ أحدٍ آخر غير نفسه، ولكن ربَّما أَراد قائل المثل أن يوصل فكرة أن هذه العين التي تحرسه وتعيله هي أفضل من العين التي تكون نائمةً لا تبالي بمن هو أعلى مقاماً منها، كأن تكون مرتبة الوالدين، وغير ذلك.

وممّا جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((أَصْلَحَ غَيْثٌ مَا أَفْسَدَ الْبَرْدُ))[٥]، فبدلاً من أن يقول المتكلم في المثل: (أَصلح الغيثُ الزرعَ من المرض الذي حلَّ به جرّاء قلة الماء، ومن ثم مجيء البرد الذي أضعف الزرع وقلل من نموه...إلخ ويتجلى ذلك في العرف الزراعيّ، اختصر قائل المثل كل ذلك، فالمقابلة وضحت المعنى بين الضدين (أَصْلَحَ, وأَفْسَدَ) بقليل من الألفاظ، إذ عملت على تكثيف الدلالة، عن طريق إيجازها واختصارها بالألفاظ بدلاً من الإسهاب والإطناب.

وممّا جاء على ذلك أيضاً، قولهم: ((الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيْهِ الْإِشَارَةُ))[٦]، استعملت لفظة (العبد) في المثل للدلالة على عدم الفهم ربّما للشيوع الخاطئ بأنَّ العبد لا يدرك ولا يعي الأشياء، في حين أنَّ (العبد) قد يكون فقيراً لا يملك من المال ما يسدُّ به حاجته، ولكنه من جهة العقل يفوق من يمتلك أموالاً طائلة، فالمتكلم قد سخَّر الألفاظ، فقابل بين المعاني المتضادة في لفظتي (العَبْدُ, والحُرُّ)، فتحصّلَّ بذلك على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، والمثل المذكور آنفاً لا يخلو من وجهتي وهمٍ:

الأولى: يتصور بعض الناس أنَّ ما يسمى بـ (العبيد) هم أناسٌ أقلُّ منزلة في كُلِّ شيء من بقية الناس، وكأنَّ هؤلاء ليسوا بشراً وهذا من الظلم الذي لا يقرُّ به إنسانٌ منصف.

والوجهة الثانية: أَنَّ وضع لفظة (العبد) في مقابل لفظة (الحر) قد يتصوره بعض الناس بأنَّ (العبد) هو محل الضرب والعصا، لأنَّه مملوكٌ لسيده، في حين أنَّ دلالة(الحرّ) الذي يدرك الأشياء من الإشارة توحي بأنَّ المقصد من ذلك الفطنة والنباهة في الأمور، ومن ثَمَّ فإنَّ العبوديّة لله سبحانه، لأنَّه أهلٌ لها، قولة تعالى((والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا والية مآب)) (سورة الرعد: آية ٣٦)

وممّا جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((عَدُوُّ الرَّجُلِ حُمْقُهُ، وَصَدِيْقُهُ عَقْلُهُ))[٧]، يروى في الحديث القدسيّ أنَّ الله جل جلاله خلق العقل فقال له: أَقْبِلْ فَأَقْبَلْ ثم قال له: أَدْبِرْ فَأَدْبَرْ، فقال: بك أعاقب وبك أثيب[١]، نلحظ أنَّ الغرض الأسمى في المثل التمسك بالعقل

(١) ينظر: نظم الدرر: ٥٦٤/٨, ومصاعد النظر: ٧١٢/٢.
(٢) ديوانه، من الطويل:١٣، وينظر: العمدة في محاسن الشعر و آدابه: ١٦/٢.
(٣) ينظر: على سبيل التمثيل، مجمع الأمثال: ٣٤/١, ٤٦/١, ٢٤٤/١, ٢٧١/١, ١٩/٢, ٢٣/٢.
(٤) المصدر نفسه: ١ / ٢٤٤، والمثل يضرب في المثابرة في العمل، والمثل هو مثل قولهم: ((خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ خَرَّارَةٌ فِي أَرْضٍ خَوَّارَةٍ)) المصدر نفسه: ١ /٢٤٨، والخرير: صوت الماء والريح، ينظر: لسان العرب، مادة (خرر): ٤ / ٢٣٤، والخوَّارة: الأرض التي فيها لين وسهولة، والجمع (خُورٌ)، ينظر: لسان العرب، مادة (خور): ٤ / ٢٦٢.
(٥) مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٢, والمثل يضرب لمن أصلح ما أفسده غيره، يعني إذا أَفسد البرد الكَلَأَ بتحطيمه إياه أصلحه المطر بإعادته له، والغيث: المطر، ينظر: القاموس المحيط، مادة (غيث):١ /١٧٣.
(٦) مجمع الأمثال: ٢ / ١٩، والمثل يضرب في خسّةِ العبيد، وقيل: ((المَلامَة)).
(٧) المصدر نفسه: ٢ / ٢٣، والمثل يضرب في تفضيل العقل على التهور.

والحوار لأنَّه سبيل نجاةٍ ومودةٍ، والابتعاد عن الحمق لأنَّه سبيل هلاك وعداء، قولة تعالى((وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير)) (سورة الملك: آية ١٠).

وقد حصلت المقابلة في المثل بين لفظتي (عدو، وصديق)، و(حمقه، وعقله) ولا شكَّ في أَنَّ هذه الكلمات القليلة المتقابلة القصد منها إيصال الفكرة إلى ذهن السامع والمتلقي، وواضح أنَّ دلالة (العدو) واضحة ومعروفة وقد قرنها المتكلم بـ(الحمق)، ثم عمل على إقران دلالة (الصديق) بـ (العقل) وما يحمل ذلك من دلالات معلومة، كلُّ ذلك من طريق المقابلة.

إنَّ المقابلة . إذن . تزيد الكلام جمالاً فوق جمال، فالمقابلة لها أثر قويٌّ في النفوس, وفي تثبيت المعنى بالإبانة عن وجوه الاختلاف.

خامساً: التَّكثيف الدَّلالي بالالتفات:

إنَّ المادة اللغوية للالتفات تعني التحوّل, أو الانحراف عن المألوف[٢], وهو تحول أسلوبيّ, أو انتقال من معنى إلى معنى, أو من غرضٍ إلى غرض, أو المخالفة بين الضمائر أي: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب, ومن الخطاب إلى الغيبة، ...إلخ [٣], وبهذا يكون معنى الالتفات هو تحويل الكلام من حالة إلى حالةٍ أخرى تختلف عن الأولى[٤].

وللالتفات فوائد منها: تحقيق الإمتاع للمتلقي, وجذب انتباهه بتلك التحولات, ومن الفوائد الأخرى تنوع الدلالة[٥] وهذا ما يخصُّ موضوعنا.

وقد ورد الالتفات في القرآن الكريم كثيراً من ذلك قوله تعالى:((...بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون))(سورة المائدة: من الآية٧٠)، فالفعل (كذبوا) ماضٍ, والفعل(يقتلون) مضارع وهذا العدول من نمطٍ إلى آخر يسمى التفاتاً.

أمّا ورود الالتفات في أمثال العرب[٦], فنحو قولهم: ((أَضِئْ لِيَ أَقْدَحْ لَكَ))[٧]، قد يساء معنى المثل المذكور آنفاً فيبنى عليه حكم خاطئ، والحقيقة أنَّ بعض الناس تستعمل هذه القضية في باب الشرط والجزاء للأشياء غير الصالحة...إلخ، فعناصر التواصل هي أن يفهم المتكلم والسامع ما يقول بعضهم لبعض ولا سيما إذا كانت تعابير الوجه وطريقة الوقوف ونبرة الصوت وسائلَ في تقوية المعنى والخطاب الذي يبغيه قائل المثل، في حين أنَّ وسيلة الكتابة في التواصل قد تحمل بين طياتها دلالات احتماليّة متعددة، ففي المثل إيجازٌ بلاغيّ لفظيّ لدلالةٍ ضمنيّةٍ متنوعة، وقد نَوَّعَ أسلوب الالتفات الدّلالة بين التكلّم الذي تجسَّدَ في الفعل ومتعلقه (أضئ لي) أي: (أنا)، وبين دلالة الخطاب التي تجسدت في الفعل ومتعلقه(أقدح لك) أي:(أنت)، وهذا التنوع يدلُّ من طَرَفٍ خَفِيٍّ على أنَّ هناك مقامين هما:

مقام المتكلم: الذي استعمل فيه معنى الإضاءة التي تكون أقوى من دلالة القدح.

ومقام المخاطب: الذي جعله المتكلم أقلَّ منزلةً فناسبه بأن جعل القدح من نصيبه.

وهذا الاستعمال لتلك القرائن كثَّف المعنى وأوجز اللفظ وأضاف جمالاً ورونقاً للمثل.

---

(١) ينظر: منهج الإمام أحمد في إعلال الحديث: ١ / ٢٠٦.
(٢) ينظر: لسان العرب, مادة (لفت): ٨٤/٢, والقاموس المحيط، مادة (لفت): ١٥٩/١, وتاج العروس، مادة (لفت):٥ /٧٨.
(٣) ينظر: المثل السائر: ١٦٥ – ١٦٩.
(٤) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٤٦٤/١.
(٥) ينظر: الكشاف: ١٠/١, ومفتاح العلوم: ٨٦/١, ٨٧, والإيضاح في علوم البلاغة: ٧٧/١, والطراز: ١٣٢/٢-١٣٥, والبرهان في علوم القرآن: ٣٢٥/١, ٣٢٦, وحاشية الدسوقي على مختصر السعد ضمن شروح التلخيص: ٤٧٢/١.
(٦) ينظر: على سبيل التمثيل، مجمع الأمثال: ٣٤٤/١, ٣٦٠/١, ٤٢٠/١, ٤٢١/١, ٢٨٠/١٩٢،٢/٢, ٢٩٢/٢٨٧،٢/٢, ٣٤٠/٣٣٢،٢/٢.
(٧) المصدر نفسه: ١ / ٤٢١، والمثل يضرب للمساواة في المكافأة بالأفعال، أي كنْ لي أكنْ لك، وقيل: بَيِّنْ لي حاجَتَكَ حتى أسعى فيها، كأَنَّه رأى في لفظ السائل استبهاماً، فقال له: صَرِّحْ ما تريد أَحَصِّلْ لك غرضك، ويروى (أكدح لك).

ومن ذلك أيضاً قولهم: ((ضَجَّتْ فَزِدْهَا نَوْطاً))[١]، إنَّ استعمال كلمة (الضجيج) يدلُّ على عدم القبول لأمرٍ ما، وهو الرفض بشدة[٢] ولذلك جاء الجزاء بزيادة النوط وكأنَّ عقوبة عدم الرضا بالقليل من الأمر هو أمرٌ أعظمُ منه، وقد استعمل المتكلم ضمير الغائب وهو الضمير المستتر في (ضَجَّتْ) وتقديره: (هي), ثم استعمل ضمير المخاطب المقدَّر (أنت) في الفعل (زِدْها) مع الربط بحرف العطف الفاء, وهذا العدول الأسلوبي فيه إثارةٌ للمتلقي، ولفتٌ لانتباهه بأقل الوسائل إسرافاً لتحقيق الغرض المراد.

ومن ذلك أيضاً، قولهم: ((لَعَلَّ لَهُ عُذْراً وَأَنْتَ تَلُوْمُ))[٣]، لا شكَّ في أنَّ التمسك بالصبر، وعدم إطلاق الأحكام جزافاً أمورٌ مهمةٌ لها تجلّيات توضَّحت في ثنايا الكلمات، ولذلك فإنّنا عندما ننطق حكماً يقتضي أنّنا نعرف أهم صفات الإنسان المحكوم عليه، والظروف المحيطة به، فضلاً عن أنَّ صدور الحكم يجب أن يكون من جهةٍ مؤثرة تتسم بالعدل، ويرتبط بذلك جهة صدور المثل الذي ينبغي أن تكون مؤثرةً مستقيمةً حتّى يأخذ المثلُ أثره فالمتكلم في المثل المذكور يضرب المثل عن إنسانٍ وقعت عليه ملامة لأنَّه لم يأتِ، أو لم يقم بما يجب لأنَّ له عذراً، وقد استعمل لأجل أن يوضح مقصوده الالتفات بين الغائب الذي يتجلّى في (لعلَّ له) والتقدير:(أي هو)، والمخاطب الذي يتضح في (وأنت تلوم)، هذا الأسلوب ساعد على تكثيف المعنى وتقريبه بألفاظٍ قليلة. ومن ذلك أيضاً، قولهم: ((الْمَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شِقَّ الْأُبْلُمَةِ))[٤]، من الأمور المهمة في الحياة (المساواة) التي تكون في كل شيء ولا سيما عدالة توزيعها على مستحقيها، وقد ذُكِرَ المال في المثل لما له من منزلة عند الإنسان، ولذلك ورد ذكره في القرآن الكريم متناغماً مع ميول البشرية في تفضيلهم له حتّى على الأولاد في مواضع كثيرة منها، قولة تعالى((المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاً)) (سورة الكهف: آية ٤٦). إنَّ المتكلم استعمل ضمير التكلم في (بيني) وتقدير الكلام: (المال بيني أنا), ثم خالف في الأسلوب إلى ضمير المخاطب وقال: (وبَيْنَك شِقَّ الأُبْلُمَةِ), والتقدير: (المالُ بَيْني أنا وَبَيْنَك أَنْتَ شِقَّ الأبْلُمَةِ).

ويبدو لي أَنَّ هذه الطريقة في التعبير تثير في المتلقي شحنة دلالية, فضلاً عن الدلالة القديمة التي تصورت لديه، فالضمائر هي من المعاني النحوية, وهذا التنوع الدلالي بقلة الألفاظ هو منحى اقتصادي يوفّر الجهد للمتكلم والسامع كليهما.

سادساً: التَّكثيف الدَّلالي بالدّلالة الاحتماليّة:

من المعروف أَنَّ الأصل في الدلالة أن تكون قطعية، لأَنَّ الغرض الرئيس من اللغة هو التواصل بين أفراد المجتمع الإنساني, ولمّا كانت اللغة هي ((أصواتٌ يعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم))[٥], وجب على هذه الأصوات أنْ تشير إلى المتلقي صراحةً.

إذن فالجملة العربية على ضربين إمّا أن تكون ذات تعبير نصيّ قطعيّ له معنًى واحد, وإمّا أن تكون ذات تعبير احتماليّ[٦], بمعنى أَنَّها تحملُ إلى جانب ما يظهر من معناها معانيَ أخر, وقد أشار ابن جني إلى الدلالة الاحتمالية فسمّاها باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين وعنده أَنَّ هذا باب واسع[٧], ومنه قول المسيب بن علس[٨]:

وَغَلَتْ بِهِمْ سَجْحَاءُ جَارِيَةٌ تَهْوِي بِهِمْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

ف(غلت) قد تكون من التوغل, وقد تكون الواو عاطفة, فيكون من الغليان[٩], ومثله: (غدوت بها طيّا برشائها), يكون فعلى من طويت, ويجوز أن يكون تثنية (طي), أي: (طيا) يدي, وأراد: طياها[١٠].

---

(١) مجمع الأمثال:١ /٤٢٢، والمثل يضرب لمن يُكَلَّفُ حاجةً فلا يضبطها، فيطلب أن يخفف عنه فيزاد أخرى، والنَّوط: جلة صغيرة فيها تمر تُعَلَّق من البعير، أو هي كل ما عُلِّق من شيء، والجمع أنواطٌ ونياطٌ، ينظر: لسان العرب مادة (نوط):٧ /٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ضجج): ٢ / ٣١٢.

(٣) مجمع الأمثال: ٢ / ١٩٢، والمثل يضرب لمن يلوم مَنْ له عذر ولا يعلمه اللائم، وهو من الشعر الذي جرى مجرى الأمثال وهو غير منسوب لأحد، وهو من البحر الطويل، وصدر البيت: تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِباً. المصدر نفسه: ٢ / ١٩٢.

(٤) مجمع الأمثال: ٢٧٦/٢، والمثل يضرب في المساواة والمشاركة في الأمر، والأُبْلُمةُ: بضمتين، أو بفتحتين، أو بكسرتين، هي بَقْلة لها قرون، أو هي خُوصة المُقْلِ, ينظر:لسان العرب، مادة (بلم): ١٢ / ٥٣ ـ ٥٤، وشِقَّ:نصبٌ على المصدر من معنى قوله:((المال بيني وبينك))أي:مشقوق بيني وبينك.

(٥) الخصائص: ٣٤/١.

(٦) ينظر: معاني النحو: ١٧/١.

(٧) ينظر: الخصائص: ١٦٦/٣.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، مجزوء الكامل: ١٧٤/٣، ولم أجد البيت في ديوانه.

(٩) ينظر: الخصائص: ١٧٥/٣.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٣ /١٧٥.

وقد أشار الجرجاني إلى النظم الجيد الذي يكون فيه الإيجاز مع زيادة المعنى . الدَّلالة الاحتمالية . من غير أن يزاد في اللفظ[١], وأشار الفخر الرازي إلى الدَّلالة القطعية وسمّاها الدَّلالة النصية, وأشار كذلك إلى الدَّلالة الاحتمالية[٢], ثم أخبرنا الزركشي عن الاحتمال بِأَنَّه اللفظ القليل الجامع للمعاني الكثيرة[٣].

والوجه الاقتصادي في الدَّلالة الاحتمالية أَنَّ العبارة قليلة في ألفاظها كثيرةٌ في معناها, فهذا التوفير في اللفظ والكثرة في المعنى هو منحًى اقتصادي, واحترز هنا من أَنَّ المقصود بالاحتمال الذي أعنيه هو أَنَّ المتكلمَ يكون قاصداً ذلك الغموض في الاحتمال والتعدد، وذلك كقول: السيد لعبده: (اسكت وإلّا) فسكوته عند هذا الحدّ أبلغ من تكلمه، لأَنَّه جعل نفس العبد تذهب كل مذهب في تصور أنواع العذاب, فإن قال: اسكت وإلّا قطعت لسانك فقد الكلام ما كان فيه من مبالغة وأصبحت الدلالة قطعية.

أمّا إذا كان المتكلم غير دقيق في استعمال اللغة, وقد خفي عليه أمر الوصول إلى مبتغاه فهذا يعدُّ عيباً ومظهراً من مظاهر اللبس والغموض. والآن بنا حاجة إلى معرفة نماذج من الاحتمال في أمثال العرب, ومن شواهد ذلك قولهم: ((رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ))[٤]، إنَّ هذا المثل إذا نظرنا له من الناحية العضويّة التناسليّة لا يمكن أن نقبله بحال، إذ ليس من المعقول أن يكون أخوك من أمٍّ غير أُمِّك إلّا إذا كان أبوك متزوجاً بأكثر من زوجة، ولكن يمكن أن تجتمع أشياء متعددة معنويّة لها علاقة بالمعنى وزيادته، فقد يحتمل المراد بـ(الأخ) (الصديق) الذي يعين صديقه في الشِّدّة، ويواسيه في أحزانه, ويقف معه في أفراحه, فهو بمشاعره تلك يحمل مشاعر الإخوة، وقد يحتمل أن يكون المراد به (الأخ) الذي يكون من غير أُمٍّ أن يكون الأبُّ متزوجاً لأكثر من زوجة، فالمتكلم ربَّما قصد المعنيين بأوجز لفظٍ, ما وَفَّرَ الجهد والوقت. وممّا جاء من ذلك أيضاً، قولهم: ((رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لَيْسَ بِابْنِ عَمٍّ))[٥], فقد يكون معنى المثل شكاية من الأقارب, أي: رُبَّ ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك, فهو كالإنسان الأعجمي بل على العكس قد يضرك بحلاوة لسانه ولكنّه يروغ لك كالثعلب. وقد يكون معناه: رُبَّ إنسان من الأجانب يهتم بشأنك ويستحي من خذلانك فيقدم لك يد العون والمساعدة [٦], فهو ابن عمّ معنى وإن لم يكن ابن عمّ نسباً.وهذا الأسلوب في الكلام موجز في لفظه كثير في معانيه وهو منحى اقتصادي يُوَفِّرُ الجهد للمتكلم. وممّا جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((الْعَوْدُ أَحْمَدُ))[٧]، ورد في المثل المذكور آنفاً بناء (أَحْمَدُ) وهذا البناء يحتمل أن يكون من (الحامد) أي من (الفاعل)، يعني أَنَّه إذا ابتدأ العُرْفَ جلب الحمد إلى نفسه، فإذا عاد كان أحمد له، أي أكسب للحمد له، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى ((وأما بنعة ربك فحدث)) (سورة الضحى: آية ١١).

ويجوز أن يكون (أَفْعَلَ) من(المفعول)، يعني أَنَّ الابتداء محمود والعود أحقّ بأن يحمد منه، فالمقام مضمارٌ لمعانٍ كثيرةٍ بألفاظٍ قليلة. وممّا جاء من ذلك أَيضاً، قولهم: ((كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبِيْراً))[٨]، وقريب من معنى المثل المذكور إجمالاً قوله تعالى((وتوكل علي الحى الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا))(سورة الفرقان: آية ٥٨).

في النصِّ المذكور آنفاً أكثر من نكتة، منها أَنَّ المتكلم وضع (خبيراً) موضع (خبراء) الجمع كقوله تعالى:((ومن يطع الله ورسوله فاؤلائك مع الذين انعم الله عليه من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولائك رفيقا))(سورة النساء: من الآية ٦٩). أي رفقاء هذا أمر، والأمر

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٤٩/١.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣٨/٧.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٥/٣.
(٤) مجمع الأمثال: ١/ ٢٩١، والمثل يضرب في مساعدة الإنسان للإنسان من دون معرفة بينهما، والمثل يروى للقمان بن عاد وقد جرى مجرى الأمثال.
(٥) مجمع الأمثال: ٣٠٦/١، والمثل يضرب في عدم القياس على الأوجه التي تظهر الودَّ بصلة القرابة أو غيرها ولكننا لانعرف ما تبطن لنا، وإنّما المساندة في المواقف هي الفيصل في ذلك.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٠٦.
(٧) المصدر نفسه: ٢ / ٣٤، والمثل يضرب في ذكر فاعل الخير، ويقال: أول من قال ذلك الشاعر مالك بن نويرة في بيت شعر وقد جرى مجرى الأمثال وهو:
جَزَيْنَا بَنِي شَيْبَانَ أَمْسِ بِقَرْضِهِمْ وَعُدْنَا بِمِثْلِ الْبَدْءِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ.
مجمع الأمثال، من الطَّويل: ٢ / ٣٥، ولم أجد البيت الشعري في ديوانه.
(٨) مجمع الأمثال: ٢ / ١٥٩، والمثل يضرب في معرفة الإنسان لصاحبه أكثر من غيره من الناس، ويروى (كفى قومٌ).

الثاني أنَّ (خبيراً) تحتمل أن تكون (تمييزاً)، وتحتمل أن تكون (حالاً)، والأمر الثالث أنَّ فاعل (كفى) محذوف، والتقدير: (كفى قوماً علمهم خبيراً بصاحبهم)، فالمثل تعاضدت في تشكيل معناه المتعدد ألفاظ قليلة ناسبت الجهد والوقت لطرفي الخطاب.

الخاتمة:تولدت عند الباحث بعد دراسة الأمثال العربية نتائج يمكن إيجازها بالآتي:

١ . لم نجد أثراً للضرورة في الاقتصاد ولا سيما في الأمثال العربية فهي قصيرة موجزة بألفاظها مكثفة بمعناها.

٢ . تجسَّد التكثيف الدّلالي بوسائل منها التشبيه، والاستفهام المجازي، والكناية، ...إلخ.

٣ . جنح متكلم اللغة إلى تكثيف الدلالة بأقل ما يمكن من الألفاظ ليوفر الجهد.

المصادر والمراجع:

(القرآن الكريم).

- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمد الفارسيّ الأصل الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، د.ط، مطبعة المدني القاهرة، د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزوينيّ الشافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- البرهان في علوم القران، الزّركشيّ (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٧م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ الليثيّ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، إشراف صدقي محمد جميل، ط١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ١٣٧٩هـ.
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء الليثيّ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، ط٤، الهيأة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسيّ الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تح: ياسين الأيوبي، ط١، المكتبة العصرية، د.ت.
- ديوان أبي نؤاس، تح: ايفالد فاغن، ط١، الناشر: المدى، سوريا – دمشق، د.ت.
- ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ديوان العجَّاج، عبد الله بن رؤبة رواية الأصمعيّ وشرحه، تح: عبد الحفيظ السَّلطيّ، د.ط، مكتبة اطلس، دمشق، ١٩٧١م.
- ديوان لبيد ابن أبي ربيعة العامريّ، تح: د. يحيى الجبوريّ، د.ط، الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد، الطباعة مطابع التعاونية اللبنانية، بيروت، د.ت.
- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصّمد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

- شرح القصائد العشر، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت٥٠٢هـ)، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، ١٣٥٢هـ.
- شعر الخنساء، تماضر بنت عمرو، تح وشرح: كرم البستاني، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م.
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبيّ(ت٤٢٩هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- كتاب الكناية والتعريض، عبد الملك بن محمد الثعالبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م.
- الكشّاف، جار الله الزمخشريّ، تح: عبد الرّزاق المهديّ، د.ط، دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان – بيروت، د.ت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الوينعي الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزريّ، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب(ت ٦٣٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مجاز القران، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري(ت٢٠٩هـ)، تح: محمد فؤاد سزكين، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني(ت٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الفكر، ١٣٩٣هـ_١٩٧٢م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرائيّ، ط٢، شركة العانك، القاهرة، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكيّ (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ)، المجلد الأول والثاني تح: السيد أحمد صقر، المجلد الثالث تح: د. عبد الله المحارب، ط١، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.